الصَّبْر على موت الأهل

* قدم الشام قوم من بني عَبْس فيهم رجل ضرير ، فسأله الوليد بن عبد الملك عن عَيْنَيْه؟ فقال : يا أمير المؤمنين بتُّ ليلةً في بطن وادٍ ولا أعلمُ عبسيّاً يزيد ماله علىٰ مالي ، فطرقنا سَيْلٌ فذهب بما كان لي من أهلٍ وولدٍ ومالٍ غير بعير وصبيٍّ مولود . وكان البعيرُ صَعْباً فندَّ ، فوضعتُ الصبيَّ واتَّبعتُ البعير ، فلم أجاوز إلاّ قليلاً حتى سمعتُ صيحة ابني ورأسه في فم الذِّئب وهو يأكله ، فلحقتُ البعير لأحبسه ، فنفحني برجْله على وجهي فحطَّمه ، وذهب بعينيّ ، فأصبحتُ لا مالَ لي ، ولا أهلَ ، ولا ولدَ ، ولا بَصَرَ . فقال الوليد : انطلقوا به إلى عُروة بن الزُّبَيْر ليعلمَ أنَّ في الناس من هو أعظمُ منه بلاءً .

* كانت امرأة من هُذَيل لها عشرة إخوة وعشرة أعمام فهلكوا جميعاً في الطاعون ، وكانت بِكْراً لم تتزوَّج ، فخطبها ابن عمٍّ لها فتزوَّجها ، فلم تلبث أن اشتملت علىٰ غلام فولدتهُ ، فنَبت نباتاً كأنَّما يُمد بناصيته ، وبلغ ، فزوَّجته ، وأخذت

في جهازه ، حتىٰ إذا لم يَبْق إلاّ البناء بأهله أتاه أجلُه ، فلم تشقَّ لها جيباً ، ولم تدمع لها عين ، فلمّا فرغوا من جهازه دُعيت لتوديعه ، فأكبّت عليه ساعة ثمّ رفعت رأسها ونظرت إليه وقالت :

ألا تلـــك المســـرَّة لا تـــدومُ ولا يبقىٰ على الدَّهْر النَّعيمُ[1]

* كان عليُّ بن الحسين رضي الله عنه في مجلسه وعنده جماعة ، إذ سمع ناعيةً في بيته ، فنهضَ إلىٰ منزله فسكَّنهم ، ثُمَّ رجع إلىٰ مجلسه ، فقالوا له : أمِنْ حَدَث كانت الناعية؟ قال : نعم . فعَزَّوه وعجِبوا من صَبْره ، فقال : إنّا أهل بيتٍ نطيع الله فيما نُحِبُّ ، ونحمده علىٰ ما نكْرَه[2] .

الحضُّ علىٰ الصبر على مصيبة الموت :

* أخرج ابن أبي خيثمة والدينوريُّ وابن عساكر عن أبي عُيينة رضي الله عنه قال : كان أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه إذا عزّى رجلاً قال : ليس مع العزاء مصيبة وليس مع الجزع فائدة . الموت أهون ماقبله وأشدّ ما بعده ، اذكروا فَقْدَ

---

(١) العقد الفريد : ٣/ ٢٦٠ .
(٢) العقد الفريد ٣/ ٣٠٧ .

رسول الله ﷺ ، تصغر مصيبتكم ، وأعظمَ الله أجركم .

* أخرج ابن عساكر عن سفيان قال :

عزّىٰ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الأشعث بن قيس رضي الله عنه على ابنه ، فقال : إن تحزن ، فقد استحقَّت منكم الرَّحِم ، وإن تصبر ، ففي الله خَلَف من ابنِكَ ، إنَّك إن صبرت ، جرىٰ عليكَ القدر وأنت مأجور ، وإن جزعت ، جرىٰ عليكَ وأنت مأثوم .

* عزّىٰ موسىٰ المهديّ إبراهيم بن سَلْم علىٰ ابن له مات ، فجزع عليه جزعاً شديداً ، فقال له : أيسرُّكَ وهو بليَّة وفِتْنة ، ويَحْزُنكَ وهو صلوات ورحمة[1] .

* عزّىٰ أعرابيٌّ رجلاً فقال :

أوصيك بالرِّضا من الله بقضائه ، والتنجُّز لما وعد به من ثوابه ، فإنَّ الدنيا دار زوال ، ولا بدَّ من لقاء الله .

وقال آخر في تعزية صاحبه :

إنَّ من كان لك في الآخرة أجراً ، خيرٌ لك ممن كان لك في الدنيا سُروراً[2] .

---

(١) العقد الفريد : ٣/٣٠٧ .

(٢) العقد الفريد : ٣/٣٠٦ .

* عزّى ابنُ السمّاك رجلاً ، فقال :

عليكَ بالصَّبْر ، فبه يعمل من احتَسَب ، وإليه يصير من جزِع ، واعلم أنَّه ليست مصيبة إلاّ ومعها أعظمُ منها من طاعة الله فيها أو معصيته بها[1] .

* قال العُتْبيُّ : عزّىٰ أبي رجلاً ، فقال :

إنَّما يستوجب علىٰ الله وعده من صَبَر لحقِّه ، فلا تجمع إلىٰ ما فُجِعت به الفجيعة بالأَجْر ، فإنَّها أعظمُ المصيبتين عليك ، ولكلِّ اجتماعٍ فُرْقة إلىٰ دار الحُلول[2] .

* عزّىٰ صالح المُرِّيّ رجلاً بابنه فقال له :

إن كانت مُصيبتكَ لم تُحْدِث لك موعظة فمُصيبتك بنفسك أعظمُ من مُصيبتكَ بابنك ، واعلم أن التهنئة علىٰ آجل الثواب أولىٰ من التعزية على عاجل المصيبة[3] .

* * *

---

(١) العقد الفريد : ٣/ ٣٠٤ .
(٢) العقد الفريد : ٣/ ٣٠٤ .
(٣) العقد الفريد : ٣/ ٣٠٤ .